المحاضرة 03

لمحة تاريخية عن التعليمية

مقدمة

إن تاريخ أي علم من العلوم أو تخصص من التخصصات لا يجذب –عادة– دافعية ورغبة وإرادة وانتباه المكونين (Les Formateurs) المراد تكوينهم حتى وإن كان برنامج التكوين مرتبطا بتاريخية تخصص علمي معرفي حديث العهد والميلاد.

والسبب في ذلك يعود إلى البراغماتية التي صارت تطبع فكر المكونين والتي تدفعهم دوما في الندوات، والملتقيات إلى الإلحاح على ضرورة التركيز المستمر على المشاكل والصعوبات اليومية التي يعانون منها في التطبيقات الصفية (Les Pratiques de classe) مع المتعلمين، ومناداتهم للمتخصصين (Les Spécialistes) والخبراء (Les Experts) والباحثين (Les Chercheurs) لمساعدتهم في إيجاد الحلول للمعضلات التي تعرقل السيرورة الجيدة للدرس بفعالية سواء تعلق الأمر بمحتوى المادة التعليمية أم بصياغة أهدافها أم بطرق وأساليب ووسائل تدريسها.

كل هذا ،من أجل تحويل هذا المضمون المعرفي التعليمي من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل في ذهن المتعلمين.

وبحكم اتصالنا بالمعلمين ، ومعايشتنا الميدانية لما يجري في واقع المدرسة الجزائرية ارتأينا بضرورة البدء بنشأة التعليمية وتطوراتها التاريخية لما لهذا الجانب من أهمية في تحكم المكونين في المحتوى الاصطلاحي والنظري لمفهوم التعليمية التي دخلت إلى عالم التربية والتعليم بمنحى علمي جديد لم نعهد عليه من قبل في التعليم.

1.أهمية التعرف على تاريخية التعليمية:

ما الفائدة التي يمكن أن يجنيها المكونون من السرد التاريخي للتعليمية؟ ما هو الهدف الذي يمكن أن يحققه هذا المدخل التاريخي في تكوين المكونين؟ كيف سيساعد تاريخ التعليمية في تحسين مستوى أداء المكونين في التعليم والتدريس؟ هذه مجموعة من التساؤلات التي ترد – دوما – في ذهن المكونين والتي سنحاول الإجابة عليها في هذا السند بغية جلب اهتمام المكونين لقراءة الجانب التاريخي لهذا العلم الجديد. وذلك لما له من أهمية في الرفع من مستوى المكونين في الجانبين: النظري والتطبيقي المتعلقين بالتعليمية.

إن اتضاح الرؤية التاريخية للتعليمية لدى المستخدمين في هيئة التربية والتعليم في مختلف ميادينها لها أهداف وأهمية جمة في فهم التعليمية اصطلاحا، ومنهجا وتنظيرا في النواحي التالية:

– التحديد الدقيق لمفهوم التعليمية وذلك لتداخل هذا التخصص مع تخصصات علمية أخرى منها : علوم التربية والتربية التجريبية و البيداغوجيا...الخ العلوم التي انبثقت عنها التعليمية إلى الوجود كل هذا ، بهدف الإبراز الدقيق لموضوع البحث الذي يميز التعليمية عن هذه العلوم التي انحدرت منها.

– التعرف على التناول المنهجي الجديد الذي توصل إليه الديداكتيكيون (les Didacticiens) من خلال دراساتهم المستفيضة لمشكلات وعوائق التعلم المختلفة حتى يتسنى لنا تحديد خصوصية التناول المنهجي الجديد الذي جاءت به التعليمية.

–التعرف على المفاهيم النظرية الجديدة التي اكتشفتها التعليمية في هذا الحقل البحثي الجديد ليتسنى لنا في نهاية المطاف، الاستنتاج ما إذا كانت التعليمية– بالفعل– تعد تخصصا جديدا مستقلا بحد ذاته عن التخصصات الأخرى أم ما هو الا امتداد للتخصصات التي انبثق عنها؟ واذا كان هذا الأمر صحيحا فما هو جديد

التعليمية في البحث العلمي ؟

وهل يمكن – أصلا –اعتبار تعليمية اليوم، علما جديدا له قواعده النظرية والمنهجية واللتان ستسمحان لنا بالاعتراف بميلاد تخصص جديد في عالم التربية والتعليم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، فإن تاريخ التعليمية لا يزال يعتريه الكثير من الغموض واللبس لدى الباحثين عموما فما بالك بالأمر مع الطالب أو المعلم أو الأستاذ المبتدئين الذين لا يزالون يعانون من صعوبة فهم و إتقان الدهاليز التاريخية للتعليمية ،ولاسيما في ظل غياب مرجع تعليمي يلخص لنا بالتفصيل الدقيق لهذا الجانب والذي يسمح لنا في الأخير ،التعرف على هذا التخصص العلمي الجديد ووعي أهميته الخصوصية في التعليم بدقة وبالتالي إخراج الجانب التاريخي للتعليمية من عالم الغموض إلى عالم الوضوح.

2 .النشأة التاريخية للتعليمية:

كيف نشأت التعليمية ؟

كيف شق هذا الحقل البحثي طريقه في عالم البحث والدراسة ؟

ما هي الخلفية الجنينية التاريخية التي مهدت لخروج هذا المولود العلمي الجديد ؟

وما الظروف المدرسية التي ساهمت في بروز هذا الحقل البحثي الجديد في عالم البحث العلمي بشكل متميز شجع الديداكتيكيين فيما بعد بالمناداة باستقلالية هذا التخصص بذا ته ؟

هذه مجموعة من التساؤلات التي سنتخذها نبراسا نهتدي به في توضيح النشأة التاريخية للتعليمية.

1.2 الأسباب غير المباشرة وراء ظهور التعليمية:

شهدت الفترة الممتدة بين نهاية الستينات وبداية السبعينيات– ثراء معرفيا وعلميا كبيرا لم تعرف له مثيلا –من قبل– الدول الأوروبية والعربية ،والسبب في ذلك يعود إلى انكباب العلماء والباحثين بصورة مستمرة في البحث ، ولمدة طويلة نتج عنها ظهور تخصصات جديدة كان لها الدور الكبير في تدعيم الأرضية العلمية لظهور هذا الحقل البحثي الجديد و الذي اتفق على تسميته الباحثون الذين يشتغلون في مجاله بالتعليم.

2.2 السبب المباشر في ظهور التعليمية:

إذا كان الثراء المعرفي العلمي النظري الذي شهده ميدان اللسانيات ، وعلم النفس وعلم التباري، قد كان بمثابة الأرضية العلمية غير المباشرة التي أدت إلى ظهور التعليمية، فإن الفشل المدرسي(L' échec scolaire) الناتج عن تدني المستوى التحصيلي للمتعلمين في كل المواد التعليمية: الرياضيات، والفيزياء، والقراءة، والقواعد، والتعبير...الخ. يعد العامل المباشر وراء ظهور التعليمية، حيث لم يعد الفشل المدرسي يمس نسبة قليلة من المتعلمين، بل امتد إلى جل الشريحة المتعلمة، وذلك بنسب كبيرة وخطيرة ، لم يعهدها النظام التربوي القديم ، حيث كان التلميذ الضعيف فقط هو من يعاني من مشكلة الفشل المدرسي ، غير أن هذه المعضلة اتخذت في نهاية الستينات وبداية السبعينات بعدا محليا وعالميا، تقاسمت كل بلدان العالم منها: فرنسا، وانجلترا، وايطاليا، واسبانيا... مخاطره ومشكلاته.

هذا الوضع التربوي الجديد الذي آل إليه التعليم شجع الديداكتيكيين، وذلك نتيجة لأبحاثهم المتميزة في دراسة مشكلة الفشل المدرسي بمنهجية خاصة ودقيقة شجعتهم فيما بعد إلى اعتبار الديداكتيكية كحقل بحثي متميز جديد دخل إلى الساحة العلمية، فبعدما كان مصطلح الديداكتيكية في اللغة الفرنسية في الماضي، مرادفا لكل ما هو مدرسي (Scolaire) ويقصد به الطريقة (Magistrale) لتوصيل المعرفة، فإن هذا المصطلح قد عرف –ابتداء من السبعينيات– تطورات كبيرة. في مجال منهجية البحث التطبيقية، ومنهجيته النظرية الاصطلاحية، مما جعل الديداكتيكيين ينادون باستقلالية هذا العلم، والنظر إليه كتخصص مستقل بحد ذاته عن العلوم الأخرى.

حيث اختص الديداكتيكيون بدراسة الفشل المدرسي من خلال ظاهرة الأغلاط (Les erreurs) المرتكبة من قبل المتمدرسين، حيث صاروا يتعاملون مع الخطأ كمرض، فأطلق عليه تسميات جديدة منها عسر القراءة (dyslexie)، عسر الكتابة (dysgraphie)، وعسر القواعد (dysorthographie)، وعسر الحساب (dyscalculie) ....الخ.

ومنذ ذلك الحين صارت تلقب هذه المشكلات المدرسية بأمراض العصر (les maladies du ciecle).

3.اهتمامات التعليمية:

تهتم التعليمية بوصفها مجالا من مجالات التربية سواء فيما يتعلق بالبحث أو الممارسة التطبيقية بمكونات العملية التعليمية / التعلمية من حيث:

1 – تصميم التعلم: تهتم التعليمية بتصميم التعليم من حيث فهم طرق تنظيم التعليم وتحسينها وتنميتها واستمراريتها عن طريق وصف أفضل الطرائق التعليمية وتطويرها في أشكال وخرائط مقننة تصلح لكافة أنواع المحتوى التعليمي من مفاهيم ومبادئ وإجراءات وحقائق.

2– تطوير التعليم: تهتم التعليمية بتطوير التعليم من حيث أنها تمكن من فهم طرائق تطوير التعليم وتحسينها وتنميتها واستمرارها عن طريق الاستعانة بالشكل أو الخريطة التي يرسمها مصمم التعليم واستخدامها في تحضير الأدوات والمواد والأجهزة اللازمة.

3– تطبيق التعليم: تهتم بتطبيق التعليم من حيث فهم طرائق تنفيذ المناهج الدراسية وتحسين هذه الطرائق وتطويرها واستمرا ريتها عن طريق التوظيف الفعلي للخطة التعليمية المرسومة وعن طريق استخدام الأدوات والوسائل التعليمية للبرنامج التعليمي.

4– إدارة التعليم: تهتم بإدارة التعليم من حيث فهم طرائق إدارة التعليم، وتحسينها واستمراريتها، عن طريق ضبط سير المنهاج التعليمي وتعديله وهذا لا يتحقق إلا من خلال التطبيق الفعلي للمنهاج التعليمي وما يظهره من عيوب وما يكشفه من نقص.

5– تقويم التعليم: تهتم بتقييم وتقويم التعليم من حيث فهم طرائق تقييم التعليم وتقويمها وتحسينها واستمراريتها عن طريق دراسة مدى فعالية المنهاج التعليمي المستخدم وجودته ونجاحه في تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة.